# مقدمة

أ.د/ نادية مصطفى*

يضم هذا الكتاب محاضرات الموسم الثقافي الرابع والموسم الثقافي الخامس الذي نظمه برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات (حوار الحضارات سابقًا) في مجال "حوار الأديان"، وهما الموسمان اللذان استغرقا العامين الدراسيين (سبتمبر 2005- سبتمبر 2007).

وإذا كان الموسم الثقافي الأول قد تم تدشينه مع تأسيس البرنامج في ظل تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر المباشرة (أبريل 2002- سبتمبر 2002)، ومن ثم صدرت أعماله تحت عنوان "استراتيجية الولايات المتحدة تجاه عالم الاسلام والمسلمين"، فإن الموسم الثقافي الثاني (سبتمبر 2002- يونيه 2003) تركزت أعماله حول حوار الحضارات في الخطابات العربية والغربية، باحثةً في جدوى الحوار ومصداقيته وقضاياه وشروط فاعليته، وذلك خلال مرحلة تسارعت فيها توظيفات القوة الصلدة في نفس الوقت الذي تزايدت فيه الدعوات للحوار بكل مستوياته: بين الأديان والثقافات والحضارات.

وحيث كان من أهم نتائج أعمال هذا الموسم ذلك التساؤل حول خصائص الثقافة العربية والإسلامية، تلك الثقافة التي أضحت محل الهجوم والاتهام المتصاعد منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولذا فإن أعمال الموسم الثقافي الثالث للبرنامج (سبتمبر 2003- سبتمبر 2005) تناولت هذه الخصائص بالتحليل.

ومع استمرار تجدد المبادرات الإسلامية والدولية في مجال "الحوار" (مبادرة تحالف الحضارات مثلاً)، وفي نفس الوقت الذي استمرت فيه صراعات القوى التقليدية بأدواتها العسكرية والاقتصادية، والتي تجتاح عالم المسلمين، انفجرت أزمات متكررة وطنية وعالمية تبين مدى التأزم الذي أصاب حالة الحوار سواء بين مسلمي ومسيحيي الوطن الواحد، أو بين العالم الإسلامي والغرب. ومن ثم تزايد الاشتباك بين ما هو ديني وما هو ثقافي أو ما هو حضاري وبين السياسي. وحيث أن للدين محوريته في التشكيل الثقافي أو الحضاري، فلقد حاز "الحوار بين الأديان" بصفة

* مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات.

خاصة اهتمامًا متجددًا. وكان السؤال الحاضر الغائب دائمًا هو: ما دور الأديان في انفجار الصراعات؟ وما إمكانيات دورها في بناء السلام وصنعه؟ ومن ثم هل بمقدور "حوار الأديان" أن يلعب دورًا، وما هي الشروط؟ وفي المقابل، فى حين رفض البعض تمامًا فكرة وجود حوار بين الأديان، فإن البعض الآخر تحدث عن الحوار بين المنتمين للأديان والملتزمين بها.

ومن ثم، وحيث كانت أنشطة أخرى لبرنامج حوار الحضارات (سابقًا) تقتحم مجالات حوار الثقافات والحضارات، من مداخل متنوعة (المرأة، الهوية الإسلامية فى أوروبا، الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، حوار الثقافات الأورومتوسطية، الدبلوماسية العامة الأمريكية، الخصوصية الثقافية، اللغة والهوية...) فلقد ظل مجال حوار الأديان –في حد ذاته وفي اتصاله بحوار الثقافات– يتطلب اقترابًا منظمًا ومتنوع المداخل أيضًا.

وبعد تدشين البرنامج موسمه الثقافي في مجال حوار الأديان بمحاضرة أ.د.محمد سليم العوا، فلقد حظي البرنامج بفرصة استضافة نخبة متنوعة من الخبراء وقادة الرأي والمتخصصين والقائمين على هذا المجال: د.محمد أحمد الشريف، القاضى عباس الحلبى، د.رياض جرجور، د.محمد سعيد رمضان البوطى، د.ستيفن سايزر، د.كريستان فان نسبن، د.أندرياس فان أخت، روبرت فيسك، د.سوسومو شيمازونو.

ولقد رسمت إسهامات هؤلاء الأعلام خريطة حالة الجدال حول "حوار الأديان"، وبالرغم من تنوع مداخل المحاضرات التي شهدها الموسمان الثقافيان إلا أن توجهًا عامًا قد تبلور واتضح وهو أن "حوار الأديان" لم يدشِّن حلولاً لمشاكل مستعصية مازالت قائمة، وهو الأمر الذي أفرز السؤال عن عواقب ومخاطر تسييس حوار الأديان.

وإذا كانت أعمال هذا الكتاب تقدم حلقة أخرى من حلقات الجهود التقييمية التي يقوم عليها البرنامج في مجال "الحوارات"، وباعتبار تلك الأخيرة ساحة من ساحات اختبار الدراسات الحضارية، إلا أن هذا الكتاب يصدر في مرحلة هامة من مراحل تطور مبادرات "حوار الأديان". فمن الملاحظ، من واقع بعض المبادرات الكبرى الرسمية المعلنة (ابتداءً من مبادرة مؤتمر مكة يونيه 2008 وصولاً إلى مؤتمر نيويورك في نوفمبر 2008 ومرورًا بمؤتمر مدريد في يوليو 2008) أو من

واقع المبادرات غير الرسمية، الاتجاه نحو حوار ثلاثياً: إسلامي – مسيحي – يهودي، بعد توسيع نطاق بعض الحوارات الثنائية.[1]

وفي هذه المرحلة من تزايد العدوان الصهيوني على الفلسطينيين ومن تزايد التحالف الغربي مع إسرائيل والمساندة غير المشروطة لها، كان لابد وأن تؤدي هذه الاتجاهات نحو المأسسة والتوسيع لحوارات الأديان إلى إثارة التساؤلات والشكوك حول العلاقة بإسرائيل، وحول آفاق إشراك المؤسسات الدينية الإسلامية، مثل الأزهر والمؤسسات السعودية، في حوارات مع اليهود، بل ومع الإسرائيليين.

وعلى ضوء كل ما سبق، فإن محاضرات هذا الكتاب، التي تعاقبت على مدى عامين، قد قدمت إجابات حول أهداف حوار الأديان، ومن ثم فهي تمثل بدورها منطلقًا وتأسيسًا آخر نبني عليه جهود تقييم ومتابعة المرحلة الراهنة من هذا الحوار؛ أي مرحلة الحوار الثلاثي الإسلامي – المسيحي – اليهودي.

وأخيرًا، أشكر الأستاذ عطية عبد العزيز على إعداده التقرير الختامي باتجاهات وقضايا المناقشة، كما أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب سواء بالتفريغ أو التحرير وهم أ.ماجدة إبراهيم، أ. شيماء بهاء. وخالص شكري وتقديري على المجهود المتميز الذي بذلته أ.وسام الضوينى في ترجمة كافة النصوص الإنجليزية (بحوث ومناقشات) من ناحية، وكذلك في المراجعة التحريرية الكاملة للكتاب.

الحمد لله

القاهرة ديسمبر 2008

[1] تم تناول تلك التطورات في الندوة التي عقدها البرنامج بعنوان "حوار الأديان: مراجعة وتقويم" يومي 5-6 مايو 2009 بالتعاون مع مؤسسة ميديا انترناشونال بحضور نخبة من المتخصصين والناشطين في هذا المجال، وسوف يصدر البرنامج مؤلفًا يضم أعمال تلك الندوة.